كان واضحا ان الجو السياسي سوف يطغى على كل شيء · وان مناقشة المسائل النقابية والفكرية لن تحظى سوى باهتمام جانبي· فالعمل النقابي الفلسطيني لا يستطيع الا ان يكون سياسيا في جوهره· لا يمكن اقامة نقابة مشتتة الاعضاء ، افرادها يعملون في شروط عمل متباينة الى حد كبير ، لا يتوحدون في مواجهة شروط العمل ، او في مواجهة ارباب العمل · وحدتهم اساسا هي وحدة سياسية ونموهم مشروط بنمو الحركة الجماهيرية التي ينتمون إليها · لذلك فنقابة الصحفيين لا يمكن ان تكون نقابة · ولا يمكنها انتحل المشاكل المهنية الا في الحدود الدنيا · انها اساسا اطار سياسي · قاعدة من قواعد الثورة · لا قيمة لها اذا لم تنم الثورة ولا تستطيع الوجود خارج الثورة ·

على هذه القاعدة ، نفهم كيف يكون الجو العام لاي مؤتمر للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، مليئا بالانتماء السياسي الحاد · فوحدها الصور التي كانت تقف على المنصة ، كانت كافية لتحيل جو المؤتمر الى حلقة يمتزج فيها سر الموت بسر الحياة · الشهادة والقضية · الثورة ومستقبلها · وربما كان اللقاء الذي اقيم في يوم الشهداء هو اجمل لحظات المؤتمر· هناك اختلط الكلام بالاسرار · فبعد نبرة « ابو الصادق » الفلسطينية جاء ملصق معين بسيسو لا يرثي الشهيد ابو خالد جورج، بل ليرسم الوان الموت الفلسطيني· وداخل قصيدة محمود درويش « كان ما سوف يكون » ، لم يكن راشد حسين وحده بل كان هذا الزمن الفلسطيني الذي ننتمي اليه ، نبحث عنه ، ونخرج منه ونموت فيه·

كان الشهداء هم ابطال المؤتمر الحقيقيين · اما البطولات الاخرى ، التي عطلت المؤتمر يومين كاملين وراء الصراع الانتخابي ، فلم تكن اكثر من مسالة عابرة، سويت بشكل عابر ، رغم ان ما تعنيه بالغ الخطورة على المسار العام لاي عمل جماهيري فلسطيني ، فحرية النضال الجماهيري لا يمكن ان تشرط باكثر من الحرية التي تلتزم البندقية · واي شرط أخر يسقط في يومين او اكثر ·

ربما عبر المؤتمر في ازمته التنظيمية عن ازمة عامة تجتاح الوضع الفلسطيني· لكنها لا يمكن ان تكون سوى ازمة نمو · فعلى رغم كل شيء استطاعت الثورة ان تحافظ على تماسكها وان تبقى خياراتها حرة · وهذا هو الاهم في هذا الزمن العربي لكن ازمة الخيارات تنتهي في الخيار الوحيد الممكن · استمرار النضال والا لا مجال لاي خيار · لماذا اذن لم يستطع المؤتمر انجاز تقرير سياسي خاص به ؟ وهل يمكن لاية مؤسسة جماهيرية ان تلتزم الصمت السياسي ، في واقع لا وجود لها به الا بوصفها قاعدة نضال سياسية ·

الواقع ان المسالة اكثر تعقيدا ، فالخيار الفلسطيني لا يمكن ان يقوم الا وسط جو ديمقراطي · وهو كذلك مستحيل خارج حركة مد جماهيرية · لذلك كان تأجيل اصدار البيان السياسي بالشكل الخطابي الذي تم ، تعبيرا عن لحظة ترجرج في الوعي ·او عن عدم قدرة على صياغة افاق مرحلة مليئة بالغموض · لكن الواقع ، ان السبب الحقيقي كان اكثر بساطة · فالصراع على قيادة الاتحاد وهو صراع سياسي كما نفترض ، حجب النقاش السياسي · وهذه ظاهرة فريدة في المؤتمر، لم يستطع ان يغطيها سوى البؤس الديمقراطي الفعلي الذي ساد انتخابات الامانة العامة الجديدة ، حيث عبر الاختيار الفلسطيني عن قدرته على الاختيار وظهرت النتيجة لتعلن فوز : يحيي خلف ، ناجي علوش ، محمود درويش ، رشاد ابو شاور ، ماجو ابو شرار ، خالد ابو خالد، معين بسيسو ، سعيد حمود ، هاني مندس ، جميل هلال ، بسام ابو شريف ، علي اسحق ، معن بشور ، حنا مقبل ·